القيروان
ودورها العسكري والعلمي

*سحر عبدالمجيد المجالي**

ملخص

يتناول البحث مدينة القيروان: الهدف من إنشائها، ونشأتها، وتطورها، وازدهارها، ودورها التاريخي باعتبارها أول قاعدة إسلامية تنشأ في بلاد المغرب، حيث كانت العاصمة السياسية للمغرب الإسلامي، ومركز الثقل فيه منذ ابتداء فتح إفريقية المنظم. ويركز هذا البحث على دور القيروان – بعد ازدهارها – في الانتشار العربي الإسلامي في إفريقية، ونشر الفكر الإسلامي في المشرق والمغرب، مشيرا إلى عدد وافر من العلماء الأجلاء الذين أنجبتهم، فبرزوا في العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية والفلكية والطبية وغيرها، وتلقى العلم على أيديهم وفي مكتبات القيروان وخاصة بيت الحكمة المئات من طلاب العلم المسلمين الذين وفدوا الى القيروان من مشرق العالم الإسلامي ومغربه.ثم يبرز البحث علاقات القيروان وصلاتها مع المراكز والأقطار الإسلامية، تلك الصلات التي تؤيد ما ذهب اليه البحث من أن القيروان قامت بدور واسع وكبير في الانتشار العربي الإسلامي والعلوم الإسلامية في بلاد المغرب، وفي بلاد المسلمين الأخرى مثل الحجاز والعراق وبلاد الشام والأندلس.

الكلمات الدالّة: القيروان، بلاد المغرب، الإنتشار العربي الإسلامي.

المقدمة

أهمية الدراسة

يمثل الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب ترجمة لحركة الدعوة الى الإسلام في أبعادها الروحية والمادية، وتجسد عالمية رسالة الإسلام باعتبارها موجهة الى الناس كافة في مختلف الأصقاع والأزمان، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(١). وقد اتخذت الدعوة الى الإسلام في بلاد المغرب طريقتين:

١- الدعوة بإستخدام الحملات العسكرية.

٢- الدعوة بالتعليم ونشر العلم والمعرفة.

وقد امتدت الطريقة الأولى من سنة ٢٧هـ/٦٤٦م في عهد عبدالله بن سعد بن أبي السرح في خلافة عثمان بن عفان حيث دخل إفريقية ومعه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس(٢) إلى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م آخر عهد حسان بن النعمان الذي نهض سنة ٧٨هـ/٦٩٧م لمحاربة الكاهنة، وهي امرأة تزعمت البربر الذين ارتدوا أكثر من مرة عن الإسلام، وتمكن من قتلها سنة ٨٤هـ/٧٠٣م فاستقرت الأمور(٣). وكانت الحملات العسكرية خلال هذه الفترة حركة دعوية مباشرة، ذلك أن قادتها لم يكونوا عسكريين تقليديين، وإنما كانوا مجاهدين يسعون إلى نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ومحاربة الكافرين، وقد عبر عقبة بن نافع عن ذلك بقوله: "إني بعت نفسي من الله تعالى بيعا مربحا أن أجاهد من كفر حتى ألحق بالله"(٤)، فعقبة بهذا إنما هو رجل دعوة دينية وجهاد في سبيل الله، ولم يكن هدفه تحقيق مكاسب مادية أو نتائج سياسية.

أما الطريقة الثانية، أي الدعوة بالتعليم ونشر العلم والمعرفة، فقد واكبت الحملات العسكرية وإستمرت بعد الفتح، ذلك أن الخلافة أدركت مكانة بلاد المغرب وبعدها وخطورتها، فأرسلت عدداً من الصحابة وأبنائهم والتابعين ممن لهم دراية بتعاليم الإسلام لإيصاله الى المستهدفين بالطرق العلمية المبنية على الإقناع.

وكان البربر قبل الإسلام غارقين في الجهل، بل كانوا قوماً في ضلال بعيد ولا دين لهم، وكان بعضهم يأكلون الميتة، ويشربون الدم من أنعامهم... "ويكفرون بالله ولا يعرفونه"(٥).

وقد وضع عقبة بن نافع الفهري – كما يبدو – برنامجاً لحركة الدعوة الإسلامية ونشرها في بلاد المغرب، وهو البرنامج الذي إنتهج خطاه من تعاقبوا على القيادة في تلك البلاد، حيث كانوا كلما فتحوا بلداً أقاموا مسجداً، وعينوا قاضياً، وأمروا عليه أميراً من أهله، وكانت بداية برنامج عقبة بناء مدينة القيروان.

١- منهجية الدراسة:

* قسم العلوم الاجتماعية والتطبيقية، كلية الأميرة عالية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن. تاريخ استلام البحث ٢٠١١/٧/١، وتاريخ قبوله ٢٠١٢/٦/٢٥.

©٢٠١٣ عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التأريخي التحليلي، الذي يعني الإستقصاء المنهجي للمعلومات المختلفة التي تناولت مدينة القيروان كأول قاعدة إسلامية في المغرب العربي، حيث لعبت دورين هامين، أولهما كونها مركزاً حربياً للفتوحات الإسلامية، وثانيهما تأسيسها كمنطلق للدعوة الإسلامية، ومنبع للعلم والفكر. يتأتى ذلك من خلال الدراسة والتحليل لوجهات النظر العديدة التي وردت في كتب التاريخ وكتب التراجم عن القيروان.

٢- مشكلة الدراسة:

تناولت العديد من المصادر التاريخية وكتب التراجم أهمية مدينة القيروان التأريخية بشكل عام و من مختلف النواحي السياسية والعسكرية والعلمية والثقافية والعمرانية، إلا أنه لا توجد دراسات متخصصة لأي من هذه الجوانب المهمة لهذه المدينة التأريخية. لذلك تنحصر مشكلة الدراسة في ندرة هذه الدراسات التي بحثت في أهمية هذه المدينة الإسلامية خلال الحقب التاريخية التي مرت بها .

٣- هيكلية الدراسة:

تتوزع هيكلة الدراسة على العناوين التالية:

اولاً- المقدمة

ثانياً- بناء القيروان

ثالثاً- دور القيروان العسكري

رابعاً- دور القيروان العلمي

خامساً- تأثير القيروان

سادساً- الخاتمة

سابعاً- ثبت الهوامش

بناء القيروان

كان سكان إفريقية قبل الفتح الإسلامي يتكونون من البيزنطيين المحتلين الذين سيطروا بالقوة والعنف على البلاد، والأفارقة، وهم خليط من بقايا الشعوب التي تعاقبت على المنطقة، وهذه الشعوب هي الفينيقيون والرومان والوندال والإغريق، وكان معظم هؤلاء يسكنون المدن الساحلية. والبربر، وهم قسمان: البرانس وهم سكان المدن المستقرون، والبتر وهم السكان الرحل الذين يسكنون البوادي ويعيشون على الرعي، ويشكل هؤلاء غالبية السكان.(٦)

وقد بدأت محاولات فتح إفريقية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، فقد أمر عبد الله بن أبي السرح سنة ٢٧هـ /٦٤٧م بفتحها(٧)، فتوجه إليها بجيش كبير فيه عدد من الصحابة(٨)، ووصلها في أوائل سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م، وقد حقق إنتصارات على البيزنطيين وعقد معاهدة معهم ثم عاد الى مصر.(٩) غير أن البيزنطيين نقضوا العهد فاضطر إبن أبي السرح إلى مهاجمتهم مرة ثانية سنة ٣٣هـ/٦٥٥م.(١٠)

وعندما ولي علي بن أبي طالب الخلافة بعد إستشهاد عثمان سنة ٣٥هـ/٦٥٥م عزل إبن أبي سرح عن مصر وأقام عليها قيس بن عبادة الأنصاري، ثم محمد بن أبي بكر الصديق الذي قتل بأمر من معاوية بن أبي سفيان.(١١)

وولى معاوية بن أبي سفيان على إفريقية معاوية بن حديج سنة ٤٥هـ/٦٦٥م(١٢)، وقد نزل إبن حديج بقواته في موضع يعرف بقونية، ثم عسكر بجانب جبل يسمى القرن، وواجه البيزنطيين في أكثر من معركة إنتصر فيها.(١٣) واستمرت ولاية معاوية بن حديج على مصر وإفريقية حتى سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، حيث فصلهما الخليفة إلى ولايتين، وأقر إبن حديج على مصر، بينما وجه إلى إفريقية عقبة بن نافع الفهري الذي فكر أول ما فكر ببناء القيروان.(١٤) ويعد بناء مدينة القيروان* بداية تأريخ الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب العربي، ومن ثم في الأندلس، فقد قامت هذه المدينة بدورين معاً: الجهاد والدعوة، حيث كانت الجيوش تخرج منها للجهاد والفتح، وكان الدعاة والفقهاء يخرجون منها في الوقت نفسه لتعليم العربية ونشر الإسلام.

وقد دعا إلى بناء القيروان سبب رئيس هو أن المسلمين كانوا يخرجون إلى إفريقية للفتح، ويحققون الإنتصارات، ويبرمون مع أهل إفريقية المعاهدات، ثم يعودون إلى معسكراتهم في مصر أو دمشق، وبعد عودتهم يستغل أهل إفريقية بعد خطوط المواصلات والإمدادات، فينقضون ما عاهدوا عليه، ويرتد بعضهم الى كفره.(١٥)

وكان معاوية بن حديج يخرج إلى إفريقية من مصر، ومعه كثيرون من الصحابة من المهاجرين الأولين، وفي إحدى غزواته "فتح قصوراً وغنم غنائم عظيمة، وإتخذ قيروانا عند القرن، فلم يزل فيه حتى خرج الى مصر"(١٦)، وكان قيروان إبن حديج مؤقتاً، وكان قد "حفر آباراً عند باب تونس في ناحية الجبل منه منحرفاً للشرق بالقرب من مصلى الجنائز تسمى الآن آبار حديج".(١٧)

وعندما أسندت ولاية إفريقية إلى عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م رأى أن يؤسس مدينة تصلح لإقامة المسلمين والإنطلاق منها للدعوة والفتح، أي لتحقيق هدفين: ديني وعسكري- حربي، ذلك أن إفريقية إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا الى الكفر. "إني أرى أن أتخذ بها مدينةً نجعلها معسكراً وقيروانا تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر".(١٨)

وإختار عقبة مكاناً بعيداً عن الساحل حتى لا تتعرض

المدينة المزمع إنشاؤها لأساطيل البيزنطيين، وأن يكون قريباً من البادية حيث ينتشر البربر ليسهل الوصول إليهم، ونشر الإسلام بينهم، وقد دافع عن مكان إختيار المدينة أمام أصحابه قائلاً: "لأن أكثر دوابكم الإبل، وهي التي تحمل عسكرنا، فتكون إبلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى "[١٩]. وهكذا إختار عقبة موقع القيروان، وهو يبعد عن تونس العاصمة ١٥٦كم جنوباً. وقد حدد الأصطخري المسافة بين القيروان وتونس بثلاث مراحل، وبينها وبين مصر بستين مرحلة.[٢٠]

وكان المكان الذي اختاره عقبة لبناء القيروان – كما يذكر إبن الأثير – غيضة كثيرة الأشجار، وكان يعج بالحيوانات المفترسة والحيات[٢١]. وقد قطع المسلمون الأشجار، ومهدوا الأرض، وبعد فراغهم من ذلك شرع عقبة يخطط للمدينة، ويحدد معالمها وخاصة موقع المسجد الجامع ثم دار الإمارة، ثم المساكن والدور التي سيقيم فيها الجند وأسرهم. وكان بناء القيروان في أول أمرها بسيطا، "وقد استعمل لتشييدها قراميد الآجر لوجود الطين المناسب على عين المكان، ولخلو ضواحي العاصمة من الحجارة".[٢٢]

وإختط عقبة المسجد دون أن يحدد قبلته، إذ تروى في ذلك، وأخذ يتحرى إتجاه القبلة، حرصاً على أن يكون صحيحاً، حيث أدرك أن جميع أهل المغرب سيجعلون قبلتهم على قبلة مسجده. وبعد أيام من التحري والتدقيق بنى المحراب، وكان "أقدم محراب مجوف أدخل على المساجد" وقد احتذى به جميع مساجد المدينة وسائر البلدان.[٢٣]

وقد تم بناء القيروان سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م، فعمرت، وكان محيطها "ثلاثة آلاف باع وستمائة باع" كما يذكر إبن الأثير[٢٤] أو "ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع" كما يذكر إبن عذاري.[٢٥]

وسكن الناس القيروان وعظم قدرها، وخاصة أن شوارعها الرئيسة متسعة، وأسواقها منظمة حسب أنواع الصناعات. وشد "إليها الناس المطايا من كل مكان، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين"[٢٦]. وقد تغيرت طبيعة العمليات الحربية الإسلامية بعد إتخاذ القيروان مركزاً عسكرياً، إذ أصبحت ذات طابع ثابت مستقر بعد أن كانت مجرد غارات سريعة غالبها إستكشافي.[٢٧]

وأصبحت القيروان – كما يصفها الإدريسي –" أم أمصار وقاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطراً، وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالاً، وأوسعها أحوالاً، وأتقنها بناءً، وأنفسها هماً، وأربحها تجارةً، وأكثرها جبايةً، وأنفقها سلعةً، وأنماها ربحاً، والغالب على فضلائها التمسك بالخير والوفاء بالعهد، والتخلي عن الشبهات، وإجتناب المحارم، والتفنن في محاسن العلم، والميل إلى القصد"[٢٨].

وكان عقبة قد أراد للقيروان أن تكون مركزاً علمياً يستقطب العلماء والفقهاء والعباد والدارسين، يدل على ذلك أنه بعد بناء المدينة جمع وجوه أصحابه وأهل العسكر الذين كان بينهم خمسة وعشرون من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، ودار بهم حول القيروان وهو يدعو:" اللهم املأها علماً وفقهاً، وأغمرها بالمطيعين والعابدين، وأجعلها عزاً لدينك، وذلاً على من كفر بك، وامنعها من جبابرة الأرض"[٢٩].

وقد أصبحت القيروان التي توافد إليها الصحابة والتابعون التواقون لنشر الإسلام جامعةً لتعليم اللغة ومباديء الدين، وخاصةً بين البربر حديثي العهد بالإسلام، فقد أنشأ هؤلاء الكتاتيب لتعليم اللغة العربية، ونشطوا في الدعوة إلى الإسلام عبر المواعظ والخطب، ومن القيروان إنتشر سلطان الإسلام فعم المغرب الكبير (تونس والجزائر والمغرب الأقصى)، ثم إجتاز هذه المناطق الى الأندلس ووصل شمالاً إلى أوروبا مثلما وصل الى أعماق إفريقية جنوباً وغرباً.[٣٠]

ويعزو بعض المؤرخين سرعة إنتشار الإسلام أيضا الى هيبة عقبة، وتأثيره، فعند إختطاط المدينة نادى بأعلى صوته: "يا أهل الوادي إرتحلوا، أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إرحلوا عنا إنا نازلون... فنظر الناس في ذلك اليوم الى السباع تحمل أشبالها، والذئاب تحمل أجراءها، والحيات تحمل أولادها، فأسلم كثير من البربر"[٣١]، ويؤكد ياقوت أن هروب السباع والحيات (وكان ذلك بسبب الجلبة التي أحدثها المسلمون) حمل كثيراً من البربر على الإسلام.[٣٢]

وعندما إنتهى عقبة من بناء القيروان تم عزله، وذلك سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م، حيث رأى الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يتولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، والي مصر، مسؤولية الأراضي المفتوحة في إفريقية إضافة لمصر.[٣٣] وقد أرسل مسلمة إلى إفريقية أبو المهاجر دينار الذي اختار مكاناً ربما كان قرية للبربر، تبعد عن القيروان نحو ميلين ونزل فيها، وأضاف للقرية مسجداً وداراً للإمارة.[٣٤] وبذلك فعل أبو المهاجر ما فعله عقبة من قبل عندما رفض النزول في قيروان معاوية بن حديج. وتشير بعض المصادر إلى أن أبا المهاجر أمر الناس بحرق القيروان[٣٥] حنقا على عقبة لمنافسته إياه على ولاية إفريقية.[٣٦] وأعيد عقبة والياً على إفريقية سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية[٣٧]، حيث قدم إليها من الشام ومعه خمسة وعشرون صحابياً، وعندما وصل

القيروان أمر برد الناس إليها، وجدد بناءها فعمرت، وعظم شأنها.[٣٨]

ولم يتوقف عمران مدينة القيروان منذ عودة عقبة بن نافع إليها والياً على إفريقية للمرة الثانية، واستمر عمرانها في عهد الولاة بعده، فقد جدد حسان بن النعمان بناء المسجد الجامع سنة ٨٤هـ/٦٠٧م، حيث هدمه بإستثناء محرابه وأعاد بناءه بالطوب.[٣٩] ثم أخذت المدينة تنمو وتعمر، وكثرت فيها المعالم البارزة من تحصينات حربية ومعالم دينية ومنافع عامة. ففي مجال التحصينات الحربية أنشيء في القيروان سبع محارس، وأحيطت بسور من الطوب يتخلله أربعة عشر بابا.[٤٠] وأصبح داخل المدينة مقسماً الى أرباض آهلة، وحارات وشوارع وأزقة وأسواق عامرة[٤١] ولم يكد يمر على تأسيس القيروان نصف قرن حتى غدت "أم القرى المغربية، تنبعث منها أشعة الإيمان والعرفان، وصارت العاصمة الإفريقية التي تنتهي إليها المسالك، وتتفرق منها الطرقات."[٤٢]

وبلغت المساجد في القيروان نحو ثلاثمائة، كان المسجد الجامع الذي بناه عقبة أعظمها وأشهرها،"[٤٣] وللجامع عشرة أبواب ومقصورة للنساء في شرقيها بينها وبين الجامع حائط مخرم محكم العمل".[٤٤]

وكثرت المنافع العامة في القيروان وتنوعت بتنوع أهداف إنشائها؛ فهناك إلى جانب دار الإمارة مقر الدواوين: ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل وغيرها. وهناك دار ضرب النقود وتعديل الأوزان وضبطها، ودار الضيافة حيث تستقبل الوفود والرسل القادمون من الدول الأخرى.[٤٥] وأنشئت في القيروان مشاريع المياه والقناطر،[٤٦] كما أنشئت سوق كبيرة اشتملت على متاجر وصناعات وأسواق متخصصة بالحرف والصنائع مثل: سوق الصيارفة، وسوق الجوهريين، وسوق الغزل، وسوق السراجين، وسوق البزازين، وسوق الدجاج، وغيرها.[٤٧] وقد شهدت القيروان صناعات متطورة، مثل: صناعة النسيج، وصناعة الجلود والأواني الفخارية ومواد الزخرفة البنائية وغيرها.[٤٨] واشتملت القيروان على بعض المرافق العامة مثل الحمامات، والمتنزهات مثل متنزه (الرصافة)، وبعض المستشفيات أشهرها مستشفى (الدمنة) الذي كان ذا أقسام وله نظام خاص.[٤٩]

دور القيروان العسكري

أصبحت القيروان منذ عودة عقبة بن نافع الفهري إليها قاعدة للإنتشار العربي الإسلامي المنظم ببلاد المغرب وغيرها، فبعد إتخاذها قاعدة عسكرية أصبحت عمليات الإنتشار ذات طابع ثابت مستقر بعد أن كانت مجرد غارات محدودة[٥٠]، وقد تمكن عقبة خلال إحدى حملاته الكبرى من الوصول الى شاطيء المحيط الأطلسي مخترقاً إفريقية، وتمكن في تلك الحملة من هزيمة البيزنطيين ومن والاهم من البربر.[٥١] وأصبح البربر الذين أسلموا وحسن إسلامهم رافداً مهماً للجيش الإسلامي، حيث إنخرطوا في صفوفه، وزادت بهم قوة الإسلام والمسلمين.[٥٢]

لقد تم فتح إفريقية ونشر الإسلام فيها بشكل منظم ودقيق انطلاقاً من القيروان، وممن ساهموا في ذلك بعد عقبة: زهير بن قيس البلوي الذي وجهه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إليها سنة ٦٩هـ/٦٨٨م[٥٣]، فقد حقق إنتصارات كبيرة على البيزنطيين ومن والاهم من البربر في شمالي إفريقية[٥٤]، وهو الأمر الذي زاد من رقعة إنتشار الإسلامي، واستقطب أعداداً جديدة من البربر للإسلام.

وإزداد الإسلام انتشاراً على يد حسان بن النعمان الذي تمكن سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م من تحرير شمالي إفريقية من البيزنطيين وبعد هذا الإنتصار ركز حسان بن النعمان إهتمامه على البربر في الداخل، وكانوا قد تجمعوا تحت قيادة إمرأة منهم عرفت بالكاهنة في جبل أوراس. فسار حسان إلى الكاهنة فقضى عليها في موضع سمى "بئر الكاهنة "وإنهزم البربر، فإستقامت إفريقية لحسان بن النعمان بعد إنتصاره على الكاهنة، وحُسن إسلام البربر وطاعتهم، وبذلك إنتشر الإسلام في معظم أنحاء إفريقية، ولم يبق سوى جيوب صغيرة تمكن موسى بن نصير الذي ولي إفريقية سنة ٨٩هـ/٧٠٧م من فتحها، ونشر الإسلام فيها.[٥٥] وقد كانت أولى فتوح إبن نصير قلعة زغوان ونواحيها، وبينها وبين القيروان مسيرة يوم.[٥٦] ثم توجه إلى المغرب الأقصى ففتح طنجة، وإنتهت خيله الى السوس الأدنى، ثم عاد بقواته إلى طنجة فطهرها، وأمر العرب بتعليم البربر القرآن، وتفقيههم في الدين، ثم عاد إلى القيروان.[٥٧]

ويشير المؤرخون إلى أن موسى بن نصير عندما عاد إلى القيروان كانت إفريقية كلها قد دانت له، ولم يبق فيها من ينازعه.[٥٨] وظلت القيروان منذ إنشائها مركز إشعاع حضاري، فقد تمكن العرب المسلمون إنطلاقاً منها من تطوير المجتمع في بلاد المغرب، وتغيير عاداته وتقاليده. و بعد أن إندمج العرب والبربر معاً في بوتقة الإسلام جهز موسى بن نصير حمله بحرية بقيادة عيّاش بن أخيل هاجمت صقلية، ودخلت مدينة سرقومة " فغنمها وجميع ما بها، وقفل سالماً غانماً.[٥٩] وفي سنة ٩٣هـ/٧١٢م دخل موسى بن نصير الأندلس بعد أن "استخلف على القيروان ابنه عبد الله بن موسى وكان أسن ولده".[٦٠]

وفي عهد دولة الأغالبة ١٨٤هـ/٨٠٠م شهدت القيروان عصرها الذهبي إذ أصبحت عاصمة دولة الأغالبة، فازدهرت

أسواقها وكثرت مبانيها، وأصبحت منطلقاً لفتح صقلية وسردينية ومالطة، وإستمرت حتى مجيء الفاطميون سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م.[٦١] وهم الذين أسسوا مدينة المهدية على شاطئ البحر وجعلوها عاصمةً لهم بدلاً من القيروان التي كانت تقاوم حكمهم.

لقد إنتشرت اللغة العربية في بلاد المغرب نتيجة لهجرات القبائل العربية إليها، وساعد على إنتشارها أنها لغة القرآن الكريم، ولغة الدين الإسلامي. وقد سعى العرب إلى جعل هذه اللغة لغة أدب وثقافة أيضا،[٦٢] فأصبح إستعمالها من شعائر الإسلام وطاعة العرب، وصار اللسان العربي لسان البربر، ورسخ ذلك. وقد ساهم في إنتشار اللغة العربية تعريب الدواوين، حيث أقبل الموظفون من البربر على تعلمها، وخاصةً بعد أن أصبحت لغة التدوين والسياسة فضلاً عن كونها لغة الدين والأدب والثقافة.[٦٣]

وتوطدت العلاقات بين العرب والبربر، وإزداد عدد الفقهاء والعلماء الذين أرسلتهم الخلافة مما عزز نشر الإسلام وتمكينه في النفوس وأدى إلى تلاشي الديانات التي كانت سائدة في بلاد المغرب وهي: المسيحية على الساحل، واليهودية بين البربر البتر، والوثنية والمسيحية بين البربر البرانس.[٦٤] وتحمس البربر للدين الجديد، وإنضموا إلى صفوف المجاهدين المسلمين، وبذلك غير الفتح العربي الإسلامي الذي انطلق من القيروان الحياة المغربية تماماً، وأصبحت بلاد المغرب جزءاً مهماً من الدولة الإسلامية الواحدة.[٦٥]

دور القيروان العلمي

أصبحت القيروان منذ أن دار عقبة بن نافع الفهري وأصحابه حولها داعياً أن يملأها الله علماً وفقهاً منارة علم، إنتشر إشعاعها في أنحاء العالم الإسلامي، ولم يقتصر ذلك على العلوم الشرعية، وإنما أبدعت أيضاً في العلوم الإقتصادية والإجتماعية والعقائدية إضافة إلى الطب والهندسة والفلك والآداب. ولم تنحصر هذه العلوم والآداب في القيروان وما جاورها من بلاد المغرب، وإنما وصلت إلى الأندلس فأوروبا، كما وصلت إلى المشرق حيث الحجاز والعراق والشام ومصر، وأصبحت القيروان بمرور الوقت واطراد التقدم تجذب الدارسين وتخرج العلماء، وكان العلماء من الإختصاصات المختلفة يلتقون فيها للتزود بالعلم، وينتشرون فيها لإفادة الراغبين فيه.

وقبل تناول هذا الدور العلمي الفاعل للقيروان لا بد من الإشارة إلى أن بلاد المغرب ظلت تابعة للخلافة الإسلامية الأموية ثم العباسية بالمشرق، وكان عمال الأمويين على هذه البلاد يستقرون في القيروان، وكانوا من العرب، مثل: حسان بن النعمان وموسى بن نصير وعبيد الله بن الحبحاب، وقد تميز عهد هؤلاء بأعمال جليلة في توطيد الإسلام بين السكان، وفي دعم الإستقرار بالإصلاحات المختلفة، فحسان إضافة الى تعريبه الدواوين جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية، كما أنه جلب الأقباط من مصر لبناء السفن وإنشاء الموانيء مستهدفاً حماية السواحل، وتيسير المواصلات البحرية. وإبن نصير تمكن من فتح الأندلس، وهو عمل عسكري عظيم حققه المغاربة، عربهم وبربرهم، تحت راية الإسلام. أما عبيد الله بن الحبحاب الذي ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك إفريقية عام ١١٦هـ/٧٣٤م فقد أسس جامع الزيتونة الذي أصبح فيما بعد مركزاً عظيماً للثقافة واللغة العربية.[٦٦]

وشهدت بلاد المغرب في عهد الخلافة العباسية التي أعلنت سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م حركات إنفصالية قام بها العلويون مطالبين بالخلافة، وقد تمكن هؤلاء من إقامة أولى دولهم وهي دولة الأدارسة التي أسسها في المغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط إبن علي بن أبي طالب سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م وبويع بالخلافة سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، وقد إستمرت هذه الدولة حتى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م حيث أنهاها الفاطميون[٦٧]. أما القيروان فقد تمكن إبراهيم بن الآغلب الذي ولي إفريقية للخليفة العباسي هارون الرشيد سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م [٦٨] من جعل الولاية وراثية في أبنائه، وجعلها، أي القيروان، عاصمة لدولة الأغالبة التي تمكنت من فتح صقلية وسردينية ومالطة، وإستمرت حتى أزالها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م.[٦٩]

وكان الفاطميون الذين ظهروا أول أمرهم في المغرب الأقصى، قد سيطروا على بلاد المغرب كلها وزحفوا شرقاً سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، فاستولوا على مصر ونقلوا مركز خلافتهم إليها، ثم إستولوا على الشام واليمن والحجاز، وهددوا الخلافة العباسية في بغداد.[٧٠]

وقد قسم الفاطميون بلاد المغرب قسمين: إفريقية (بلاد تونس الحالية) ومقرها القيروان، وبلاد المغرب الأخرى التي كانت بدورها مقسمة الى عدة ولايات أهمها: ولاية برقة، وولاية المغربين الأوسط والأقصى، ومقرها تاهرت في المغرب الأوسط. وكان يتولى هذه الولاية أيام المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) زيري بن مناد الصنهاجي الذي تمكن من تأسيس دولة للصنهاجيين، إنفصلت عن الخلافة الفاطمية سنة ٤٣٥هـ/ ١٦٩٨م، وقد إشتهر ممن تولوا هذه الدولة الصنهاجية البربرية: باديس بن يوسف وإبنه المعز الذي حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك، وكان أكثرهم من قبل على مذهب أبي حنيفة أو شيعة. وقد شهدت بلاد المغرب

في عهده نهضة حضارية وثقافية متقدمة.[٧١]

وكانت القيروان خلال معظم هذه الفترات والأحداث السياسية التي تعاقبت على بلاد المغرب تقوم بدورها العلمي والفكري والحضاري، وقد إزدهر هذا الدور في عهد الأغالبة وإستمر حتى رحيل الفاطميين الى مصر،[٧٢] وكانت بداية ذلك على أيدي الصحابة والتابعين الذين دخلوا القيروان مع عقبة بن نافع الفهري وبعده، وخاصة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز الذي اتبع سياسة تهدف إلى نشر الإسلام وإدخال الناس فيه من أهل البلاد المفتوحة بالرفق والحسنى والدعوة إلى الإسلام. ومن الصحابة والتابعين الذين دخلوا القيروان: أبو ذر الغفاري، وأبو عبد الله عمرو بن عوف المزني، وسلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، وأبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي، وأبو محمد فضالة بن عبيد الأنصاري، وأبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، وأبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، وأبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأبو عبد الرحمن المسور بن مخزمة بن نوفل القرشي، وزياد بن حارث الصدائي، وأبو اليمن سفيان بن وهب الخولاني، وأبو عبد الرحمن بسر بن أرطاة العامري، وغيرهم.[٧٣]

وقد كان هؤلاء ينطلقون من القيروان إلى أنحاء بلاد المغرب للتدريس ونشر التعاليم الإسلامية. وكانوا أيضا يعلمون الصغار القرآن الكريم، ويعقدون حلقات العلم في المساجد، تلك الحلقات التي كان الدارسون فيها يتلقون الحديث والأحكام الفقهية والتفسير والسيرة النبوية.[٧٤]

وقد حظيت القيروان بعديد من الشعراء البلغاء، ورواة الأدب الذين حملوا إليها أشعار الجاهليين والمخضرمين وأيام العرب وأخبارها ووقائعها، ومن هؤلاء: الحكم بن ثابت السعدي الذي دخل القيروان سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م وكان له تأثير كبير في إفريقية، وروى عنه أبناؤها كثيراً من أشعار العرب.[٧٥] ومنهم ربيعة بن ثابت الأسدي، وعامر بن المعمر بن سنان التيمي، والمسهر التميمي.[٧٦]

وكان للنحاة الذين هاجروا إلى القيروان قادمين من المشرق تأثير كبير في بلاد المغرب، ومن هؤلاء أبو علي الحسن بن سعيد البصري الذي يعد من كبار النحاة البصريين، وقد أدركته الوفاة في القيروان حوالي سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م.[٧٧]

وقد مهد من هاجروا من المشرق إلى القيروان خلال القرنين الأول والثاني الهجريين من الأدباء والنحاة والمفكرين إلى تأسيس حياة فكرية إزدهرت وإتسعت وإزدادت إنتشارا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في مختلف الأرجاء، وقد كان هذا الإزدهار ملحوظاً في العلوم الشرعية وعلوم العربية والعلوم العقلية العقائدية والعلوم الإجتماعية والتربوية والترجمة، والعلوم الطبيعية من طب وصيدلة ورياضة وفلك وكيمياء، وأثمر ذلك مؤلفات كثيرة في التخصصات المختلفة، تلك المؤلفات التي أفاد منها الناس كثيراً وما زالوا.

ففي مجال الفقه نبغ فقهاء في مختلف المذاهب، وخاصة المذهب المالكي، ومن هؤلاء أسد بن الفرات الذي ألف كتابه الأسدية المكونة من ستين بابا جمع فيها معظم مسائل مالك.[٧٨]

ومنهم أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الشهير بـ (سحنون) الذي تلقى العلم عن كثير من علماء الأمصار الإسلامية، وألف كتابًا حمل اسمه، وكانت المدونة الكبرى التي جمع فيها مسائل الفقه على مذهب الإمام مالك أشهر مؤلفاته.[٧٩] وقد أقبل علماء القيروان على هذه المدونة بالإختصار والشرح والتعليق، وكان لذلك أثر كبير في توجيه الفقه في جميع بلاد المغرب.[٨٠] ومن الفقهاء المؤثرين أيضاً أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بإبن الحداد الذي ألف في الفقه عدداً كبيرا من الكتب منها: إيضاح المشكل، والإستيعاب، والأماني، وعصمة النبيين، والإستواء.[٨١]

ونمت في القيروان وإزدهرت الى جانب العلوم الشرعية العلوم العربية، وخاصة خلال حكم الأغالبة والفاطميين، وقد وصفت بعض المصادر إبراهيم بن الأغلب، رأس الدولة الأغلبية، بأنه كان خطيباً مفوهاً ذا رأي وبأس وحزم ومعرفة بالحرب، جريء الجنان، طويل اللسان، حسن السيرة .[٨٢] وبرز من الأغالبة بعض الأدباء والخطباء مثل محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب الذي ألف كتاب: راحة القلب، وكتاب: الزهر[٨٣].

أما الشعر فكان من أبرز فحوله في القيروان: مجبر بن إبراهيم بن سفيان[٨٤]، وأحمد بن أبي سليمان داود الربعي المعروف بالصواف الذي تتلمذ عليه كثيرون[٨٥]. وأبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري، وهو من أبناء القيروان وشعرائها المجيدين، وقد ظهر أيام الفاطميين، وبرز في الأدب وخاصة الشعر.[٨٦]

وبذل علماء القيروان جهودا كبيرة في تحصيل العلوم العربية من نحو وصرف والتبحر فيها، وإستطاع بعضهم أن يضيف إليها علماً جديدا هو علم النحو المقارن، وقد بدأ ذلك يهوذا بن قريش التاهرتي الذي قارن نحوياً بين اللغات العربية والعبرية والبربرية، وأثبت أن أصلها واحد. وقد سار على نهجه العلامة دونش بن تميم الذي ألف في أصول اللغتين العبرية والعربية.[٨٧]

وقد إشتغل بالنحو من أبناء القيروان أبو الوليد عبدالملك بن

قطن المهري القيرواني الذي حفظ أنساب العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها، وصار شيخ النحويين واللغويين والرواة بالقيروان. وقد تلقى عليه أبناؤها علوم العربية، وأخذ عنه كثير من العلماء في المشرق والمغرب، وله كتب كثيرة منها كتاب في إشتقاق الأسماء.[٨٨] وكان أبو عبدالله بن إسماعيل الذي إشتهر بحمدون النحوي من كبار تلاميذ أبي الوليد المهري القيرواني، فقد تلقى عليه علوم العربية، وكان يحفظ كتاب سيبويه. وقد إفتتح مكتباً في القيروان لعقد حلقات يستمع إليه فيها المهتمون بالنحو واللغة من العلماء، ويقصده الطلاب من أنحاء بلاد المغرب.[٨٩] وممن إشتغلوا بالنحو وعلوم اللغة في القيروان أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز الذي ولد فيها في العقد الثالث من القرن الرابع الهجري، وألف عشرات الكتب في النحو واللغة منها: الحروف، والمعترض، والمفترق، والجامع، والمثلث، وغيرها.[٩٠]

وكانت القيروان خلال فترة إزدهارها تزخر بالأفكار العقائدية المختلفة، فإلى جانب أهل السنة وهم الغالبية، وجد الزهاد والمتصوفون والخوارج والمعتزلة والشيعة. وقد برز من معتنقي كل مذهب من يدافع عنه، ويحاجج معتنقي المذاهب الأخرى، وزاد ذلك من النشاط الفكري العقائدي، وأدى إلى تأليف عشرات الكتب في هذه المذاهب.[٩١] وممن ألفوا في هذا المجال يحيى بن عمر بن يوسف الذي ألف كتاباً في الرؤية، وكتاباً في الرد على الشكوكية، وكتاباً في الرد على المرجئة.[٩٢] ومحمد بن سحنون الذي يذكر المالكي أنه ألف نحو مائتي كتاب منها رسالة في أدب المناظرة، وتفسير الموطأ، والحجة على القدرية، والحجة على النصارى، والإباحة، والرد على أهل الشرك.[٩٣] أما الزهاد الذين ذاع صيتهم في القيروان وخارجها، وكان الناس والمريدون يتحلقون حولهم فأشهرهم: أبو علي شقران بن علي،[٩٤] وأبو محمد عبد الرحمن بن عبد ربه الربعي الزاهد.[٩٥]

وكانت تعقد مناظرات كثيرة بين المعتزلة والشيعة، وخاصة بعد أن قدم دعاة الفاطميين إلى المغرب، وحاولوا بث أفكارهم في القيروان، تلك الأفكار التي وصلت إليها بقوة في أواخر دولة الأغالبة.[٩٦] وليس من شك في أن صراعاً عنيفا إستمر طويلا بين أهل السنة ودعاة الشيعة مما أدى الى وجود ثروة كبيرة من المؤلفات والمدونات التي توضح عقائد كل طرف، ومن ثم إنتشار تلك المؤلفات في أنحاء المغرب.

وإهتم القيروانيون بالتاريخ، ومن أقدم مؤرخيهم عيسى بن محمد بن أبي المهاجر دينار، حفيد أبي المهاجر الذي ولي إفريقية بعد عقبة بن نافع الفهري، فقد ألف كتاباً في فتوح إفريقية.[٩٧] ومن المؤرخين أيضاً: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي صاحب طبقات علماء إفريقية وتونس، وكتاب التاريخ، وكتاب مناقب بني تميم، وكتاب فضائل مالك، وكتاب فضائل سحنون، وغيرها.[٩٨] والجدير بالذكر أن البربر بعد إسلامهم وإختلاطهم بالعرب المعروفين في الإعتناء بأنسابهم صاروا يقلدونهم في الإعتناء بالنسب. وقد بدأت عناية البربر بنسبهم في عهد الأغالبة، واستمرت في العهود التالية.[٩٩]

وظهر في القيروان في القرن الرابع الهجري علماء ألفوا في المسالك والممالك، منهم:محمد بن يوسف الوراق القيرواني المتوفى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م، فقد ألف كتاباً ضخماً في مسالك إفريقية وممالكها، وهو كتاب مفقود غير أن بعض الجغرافيين مثل البكري نقلوا عنه ما يدل على أنه كان دقيقاً في وصفه الجغرافي، وملاحظاته العلمية في هذا الشأن.[١٠٠] وقد عمل الوراق القيرواني خريطة بين عليها أقطار العالم المعروفة في زمنه، وما فيها من جبال وبحار وأنهار وطرق ومدن، وهي الخريطة التي أمر الخليفة الفاطمي المعز سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م بعملها من الحرير الأزرق المنسوج بالذهب. وقد ظهرت على هذه الخريطة مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنورة.[١٠١] وتدل الدقة الكبيرة التي عملت بها الخريطة على أن الفكر الجغرافي في القيروان بلغ شأناً بعيداً من التقدم. وكان للقيروان دور ملحوظ في الترجمة؛ وقد بدأت حركة الترجمة فيها بالنقل من اليونانية واللاتينية والعبرية إلى العربية، ومن العربية الى غيرها من اللغات. وقد إنتقل جماعة من المترجمين القيروانيين إلى إيطاليا ونقلوا إليها كتب إبن الجزار الطبيب القيرواني مترجمة إلى اللاتينية. وكان بيت الحكمة الذي أنشأه إبراهيم الثاني إبن الأغلب خلال فترة حكمه (٢٦١- ٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م) في القيروان يعج بالمترجمين الذين ترجموا الكتب العلمية من طبية وصيدلية ونباتية ورياضية إلى اللغة اللاتينية، وقد ترجم قسطنطين الإفريقي لإسحاق بن سليمان الطبيب القيروان: كتاب الحميات، وكتاب البول، وكتاب العناصر وكتاب الحدود والرسوم. وترجم كتاب الملانخوليا للطبيب إسحاق بن عمران، وكتاب زاد المسافر وقوت الحاضر للطبيب أحمد بن الجزار القيرواني، كما ترجم مصنفات أخرى من غير الطب مثل كتاب البارع في الفلك والنجوم، وقد ترجم كتاب زاد المسافر إلى اليونانية واللاتينية والعبرية وأخيراً إلى الفرنسية.[١٠٢] ويشار هنا إلى أن المعز لدين الله الفاطمي كان يجيد غير اللغة العربية اللغات البربرية والسودانية واللاتينية والإسبانية والصقلبية[١٠٣]، وهو الأمر الذي يدل على أن الترجمة ازدهرت في القيروان كثيراً مما أدى الى إنتشار المعارف الإسلامية في بلاد المغرب وغيرها.

وشهدت القيروان اهتماماً كبيرا بالعلوم الطبيعية كالطب

والصيدلة والطبيعة والكيمياء والعلوم الزراعية والرياضة والفلك والنجوم. وقد ابتدأ بعضها في القيروان في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ثم نما وإزدهر حتى أصبح علماء كل علم يقومون بدور فكري خصب، ويسهمون في رقي الحياة وتقدمها.[١٠٤]

وكان بيت الحكمة يستقدم الأطباء المشهورين من المشرق، ومن هؤلاء إسحاق بن عمران الذي نشر الطب في القيروان، وتلقى عليه عدد من أبنائها الطب والفلسفة، وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الأدوية المركبة[١٠٥]، وممن برع من تلاميذه في القيروان زياد بن خلدون، وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي وفد من مصر، وأبو بكر محمد بن الجزار وغيرهم.[١٠٦] وقد ألف إبن عمران وهو في القيروان عدداً كبيراً من كتب الطب منها:كتاب الأدوية المفردة، وكتاب نزهة النفس، وكتاب في الفصد، وكتاب في النبض[١٠٧].

وحمل الراية في مجال الطب في القيروان بعد إسحاق بن عمران: إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وهو من أهل مصر، وكان في بدايته يهتم بأمراض العيون، وعندما سكن القيروان برع في الطب، وألف فيه كتباً منها: كتاب الحميات، وكتاب الأدوية المفردة والأغذية.[١٠٨]

ونبغ من أبناء القيروان في الطب: أحمد بن ابراهيم الجزا، وقد ولد سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م من أسرة اشتغلت بالطب وإشتهرت به، وكانت له عيادة للمرضى فيها قسم للصيدلة، وتلقى الطب عنه تلاميذ من أشهرهم أبو حفص عمر بن بريق الأندلسي الذي لازمه في القيروان مدة، وروى عنه مؤلفاته، وعاد بعد ذلك إلى الأندلس حيث التحق بخدمة الأمراء الأمويين. وقد ألف إبن الجزار في الطب والتاريخ والجغرافيا والأدب، ومن مؤلفاته في الطب: كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر، وكتاب العدة لطول المدة، وكتاب الإعتماد في الأدوية المفردة، وكتاب أصول الطب، ومجريات في الطب، والمختبرات، وطب الفقراء والمساكين، وطب المشايخ، والزكام: أسبابه وعلاجه، والجذام: أسبابه وعلاجه.[١٠٩] ويعتبر كتاب (زاد المسافر) لإبن الجزار من أهم الكتب الطبية التي ألفها المسلمون، وقد ترجم إلى اليونانية واللاتينية والعبرية، وتوجد منه نسخ في مكتبات الجزائر وباريس وألمانيا وبريطانيا والفاتيكان.[١١٠]

وتقدمت في القيروان العلوم الهندسية وخاصة هندسة العمارة التي تلاحظ في مسجد القيروان، وفي الآثار الباقية في المدينة من فسقيات وحصون حربية. وإستخدمت هندسة العمارة في تصميم سفن الأسطول الحربي والتجاري، وفي الآلات الحربية. كما إعتنى القيروانيون بالحساب وحركة الأفلاك والنجوم وتحديد الأوقات وخاصة أوقات الصلاة، حيث تلقوا العلوم في ذلك عن علماء المشرق الذين تم إستقدامهم الى القيروان بعد تأسيس بيت الحكمة. ومن أشهر علماء القيروان في مجال الرياضة والفلك: أبو سهل (دونش) أدنيم بن تميم الملقب بالشفلجي، وقد ولد في القيروان أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ودرس الطب والفلسفة والحساب والنجوم، كما درس اليهودية وبرع فيها، وصار اليهود في الأندلس ومصر والعراق يستفتونه في مواقيت أعيادهم.[١١١]

وقد عمل دونش في خدمة الفاطميين أيام خلافة المنصور والمعز لدين الله، وألف كتباً كثيرةً في الحساب والنجوم والطب، كما ألف في اللغة وفي العقيدة اليهودية، ومن مؤلفاته: كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار، وكتاب في الفلك وحركة الكواكب، وكتاب التخليص في الأدوية المقررة وفي آخره بيان للأوزان والمكاييل المستعملة في المواد الطبية.[١١٢] وبرع في الفلك أيضاً، وخاصة في علم الهيئة وحركة الكواكب: نسيم بن يعقوب القيرواني الذي بلغت شهرته وتفوقه العراق والأندلس.[١١٣] وكان يوجد في بعض قاعات بيت الحكمة دواليب تحفظ فيها الآلات الفلكية الخاصة بحساب سير الكواكب ورصدها لتحقيق الأوقات وضبط الأطوال والعروض.[١١٤]

والجدير بالذكر أن تأسيس بيت الحكمة كان خطوة علمية رائدة أدت إلى تنشيط الوعي المكتبي، وكان يضم – إضافة الى مؤلفات القيروانيين – كتباً يتم شراؤها من الخارج، فقد كان إبراهيم بن الأغلب يعطي البعثة التي يرسلها الى بغداد أموالاً لشراء نفائس الكتب، وخاصة الكتب العلمية. وكانت مكتبة بيت الحكمة تفتح أبوابها للدارسين والمطالعين ولمن يريد نسخ الكتب أو مقابلتها على الأصول المعتمدة، وكان إبراهيم بن الأغلب يكلف كبار العلماء تصحيح مخطوطات المكتبة وتفسير مفرداتها.[١١٥]

وقد ورث الفاطميون بيت الحكمة بذخائره ونظامه الدقيق، وأضافوا اليه معارفهم وكتبهم، وعندما انتقلوا الى القاهرة نقلوا ما في بيت الحكمة من كتب ثمينة، ونمت المكتبة المنقولة بمرور الزمن حتى بلغت نحو مليون كتاب في الفقه واللغة والنحو والحديث والتاريخ وسائر العلوم.[١١٦] ولم تقتصر المكتبات في القيروان على مكتبة بيت الحكمة، فقد كانت الكتب توضع في خزانات في مساجد المدينة، وتوقف على طلبة العلم. وممن وقفوا الكتب على طلبة العلم: عبد الله بن هاشم بن مسرور التجيبي الذي وقف ثلث مكتبته الضخمة على طلبة العلم[١١٧].

ومن المكتبات الموقوفة على طلبة العلم في القيروان مكتبة ابراهيم بن الزاهد الأندلسي، ومكتبة أحمد بن الجزار التي حوت – كما تؤكد بعض المصادر – أطنانا من الكتب.[١١٨]

تأثير القيروان

كان لمدينة القيروان تأثير كبير في نشر مختلف العلوم والمذاهب، وبخاصة المذاهب الفقهية، و قامت بدور علمي حضاري واسع في أنحاء العالم الإسلامي، وكانت لها علاقات خاصة ومتميزة مع أمهات المدن الإسلامية، فقد كانت لها صلة وثيقة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وتتمثل هذه الصلة في الصحابة والتابعين الذين حظيت بهم القيروان منذ تأسيسها، حيث أتوا إليها ومكثوا فيها ينشرون ويعلمون الشريعة والآداب الإسلامية واللغة العربية إلى أن أدركت الوفاة بعضهم فيها. وقد عاد آخرون منهم إلى المشرق، فكانوا الصلة التي تربط القيروان بمكة والمدينة، وبلاد الحجاز عامة. وأرسل الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز إلى القيروان بعثة من الفقهاء لتعليم أبنائها، منهم: أبو عبد الله عكرمة مولى عبدالله بن عباس وحامل علمه، وقد أقام بالقيروان وبث العلم فيها، ودجين بن عامر الحجري الذي روى عنه من أهل القيروان: بكر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن زيادة بن أنعم.(١١٩) ونتج عن قدوم بعض الصحابة والتابعين إلى القيروان وبث العلم فيها إلى إنفرادها ببعض الأحاديث التي رواها أهل المشرق مثل سفيان الثوري وعبدالله بن لهيعة وعبدالله بن وهب فيما بعد، فقد رووا عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم القيرواني أحاديث لم ترو عن غيره.(١٢٠)

وكانت القيروان تتصل بالمدينة أيضاً عن طريق إرسال الرسائل للإستفتاء فيما يحدث من القضايا التي لا تكون وجهة النظر فيها واضحة، ويدل ذلك على قوة العلاقة والصلات المتينة بين المشرعين في الأمصار الإسلامية. فقد كان عبدالله بن غانم قاضي القيروان – إذا أشكلت عليه مسألة– أرجأ أمر الخصمين حتى يعود عليه جواب مالك بن أنس في المدينة المنورة.(١٢١)

وإتصلت القيروان أيضاً بعلماء البصرة والكوفة وبغداد، إذ كان بعض علمائها بعد رحلتهم إلى مكة والمدينة يستأنفون السير إلى العراق للإلتقاء بعلمائه، ولتوثيق علاقات القيروان بهم، ومن هؤلاء: عبدالله بن فروخ، وعبدالله بن غانم، وأسد بن الفرات. وقد سمع سحنون أثناء زيارة قام بها إلى مكة من علماء كانوا فيها من البصرة والكوفة وواسط.(١٢٢)

وكان هناك إتصال بين القيروان والشام، وإن كان محدوداً، فبعثة الفقهاء التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إنما جاءت من دمشق، كما أن بعض القيروانيين قصدوا الشام، وسمعوا من علمائها مثل عبدالله بن غانم وسحنون بن سعيد وخالد بن ربيعة الإفريقي الذي صادق في دمشق عبد الحميد الكاتب.(١٢٣) وتلقى العلم من القيروانيين على علماء الشام أيضاً محمد بن بسوتا، وقد سمع من إسماعيل بن عياش العنسي الراوي عن الأوزاعي وأعلم الناس بحديث أهل الشام.(١٢٤) ويزيد بن محمد الجمحي الذي يذكر المالكي أنه سمع من جماعة من أهل الشام.(١٢٥)

وكانت صلة أهل القيروان بمصر وثيقة؛ ذلك أنها تقع في طريق القيروانيين من علماء وغيرهم أثناء ذهابهم إلى المشرق وأثناء عودتهم اليها، وليس من شك في أن بعض هؤلاء قد تلقى على علماء مصر، وأنصت للدروس التي كانت تلقى في مساجدها المختلفة، وقد تتلمذ بعض القيروانيين على أعلام مصر، ومن هؤلاء أسد بن الفرات الذي ألف أسديته في مصر، وسحنون الذي ألف مدونته في مصر أيضا، وعبدالله بن فروخ الذي خرج من القيروان إلى مصر ليخلف الليث بن سعد بعد وفاته، إلا أن ابن فروخ ما لبث هو الآخر أن توفي فيها.(١٢٦)

وكن علماء القيروان وعلماء مصر يتبادلون الرأي ويتحاورون أيضا بالمراسلة، فقد كتب علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي الذي سكن مصر الى فقهاء القيروان يدعوهم الى الإعتزال والقول بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مباديء المعتزلة، وقد رد عليه فقهاء القيروان ومنهم أبو محمد بن أبي زيد الذي ظهر في رده علمه وقوة حجته وتمكنه في الرد على الأهواء.(١٢٧)

وكان للقيروان تأثير كبير في المغربين الأوسط والأقصى وخاصة في مجال بلورة التوجه المذهبي، فقد عرفت هذه المدينة في وقت مبكر العديد من المذاهب الفقهية كالمالكي والحنفي والشافعي، غير أن المذهب المالكي أصبح هو السائد منذ منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي، وأصبحت القيروان هي مركز إنتشار هذا المذهب في أنحاء بلاد المغرب وفي الأندلس أيضا وذلك بإسهام علمائها وعلى رأسهم سحنون الذي سبقت الإشارة إليه. فقد كثر طلبة سحنون من المغرب والأندلس، وكان هؤلاء حريصين على أخذ العلم عنه. وقد تمكن سحنون بفضل قوة شخصيته وورعه وزهده وقيامه بمهنة التدريس وتوليه مهنة القضاء، وكذلك بفضل مدونته من نشر المذهب المالكي.(١٢٨)

وقد تثقف على سحنون وغيره من علماء القيروان بكر بن حماد بن سهر الزناتي، وكان شاعراً مجيداً، وقد رحل إلى المشرق وسمع من علماء البصرة والكوفة وبغداد، وكانت له عناية بالفقه والحديث وتمييز الرجال وقول الشعر، وقد إجتمع في المشرق بكثير من الأدباء والشعراء مثل دعبل الخزاعي وصريع الغواني وزاحمهم في مدح الخليفة العباسي المعتصم، ثم عاد بكر إلى القيروان ومدح أمراء الأغالبة، وكانت قصائده

ذائعة شائعة في عصره. وقد حمل عنه أبناء القيروان رواية الحديث ودواوين شعر المعاصرين الذين إجتمع بهم في رحلته إلى المشرق مما أكسبه منزلة رفيعة في نقل الأدب إلى المغرب.[١٢٩] وأثرت القيروان في أهل سبتة وسجلماسة، فمن أهل سبتة درس على علماء القيروان أبو عبد الرحمن بن العجوز وأبو محمد بن غالب وخلف بن ناصر. ومن أهل سجلماسة أبو علي بن أمدكنو السجلماسي.[١٣٠]

والجدير بالذكر أن إبن الفرضي ترجم لأكثر من مائة عالم أندلسي تلقوا علمهم في القيروان على يد سحنون وتلاميذه، وعن طريقهم إنتشر المذهب المالكي في الأندلس.[١٣١] وقد ظلت الوفود الأندلسية تتابع للسماع من سحنون حتى وفاته سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م .[١٣٢] وكان الحجاج من أهل الأندلس يغتنمون مرورهم بالقيروان فيمكثون فيها وقتاً للتلقي من علمائها.[١٣٣] ورحل بعض العلماء من أبناء القيروان إلى الأندلس واستقروا فيها حيث بثوا علمهم ومعارفهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال: حباشة بن حسن اليحصبي الذي درس في القيروان على زياد بن عبد الرحمن بن زياد، وإبراهيم بن عبدالله الزبيدي المعروف بالقلانسي، ثم رحل إلى الأندلس فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد إلى أن توفي بقرطبة سنة ٣٧٤هـ /٩٨٤م .[١٣٤] وتميم بن محمد بن أحمد التميمي الذي رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة وحدث فيها عن أبيه، وعن عبدالله بن محمد الرعيني، وقد سمع منه الناس كثيراً إلى أن توفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م. [١٣٥] ومحمد بن هشام اليحصبي الذي تلقى العلم بالقيروان عن يحيى بن عمر ونظرائه من علمائها ثم رحل إلى قرطبة حيث تلقى العلم عنه كثير من أبنائها، وتوفي فيها سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م.[١٣٦]

وإزدادت هجرة القيروانيين إلى الأندلس بعد قيام الخلافة الفاطمية وإضطهادها علماء القيروان، وكانت الأندلس ترحب بمن يفد اليها، وهو الأمر الذي قوى العلاقات ونقل العلوم والأفكار بين القيروان والأندلس وخاصة قرطبة.[١٣٧]

وشهدت العلاقات الثقافية والعلمية بين جزيرة صقلية والقيروان تطوراً ملحوظاً، وقد كان لهذه العلاقات طبيعتها العلمية الخاصة منذ بداية فتحها، ذلك أن فاتحها أسد بن الفرات بن سنان كان فقيه القيروان وقاضيها الذي تتلمذ على أنس بن مالك، ولذلك ضم جيشه الذي توجه لفتح صقلية كثيرين من الفقهاء والعلماء والصالحين والزهاد، وقد نشر هؤلاء الثقافة الإسلامية فيها منذ بدء فتحها سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م حتى إتمامه حوالي منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي[١٣٨]. وقدم من القيروان إلى صقلية بعد إتمام فتحها عدد من القضاة الذين قاموا إلى جانب القضاء بنشر العلم والمعرفة فيها، ومن هؤلاء محمد بن سليمان بن سالم القطان الذي تلقى من سحنون وغيره من علماء القيروان، ثم رحل إلى المدينة المنورة للتزود بالعلوم الشرعية، وحدث عن محمد بن مالك بن أنس، وبعد عودته إلى القيروان أسند اليه القضاء في صقلية فرحل إليها سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م وظل فيها قاضياً ومعلماً إلى أن وافته المنية فيها سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م.[١٣٩]

وكانت صقلية بعد أن إستقر فتحها قد أقبل أبناؤها وأبناء الفاتحين على القيروان لتلقي العلم والمعرفة من علمائها. وكان بعضهم بعد التزود بالعلم في القيروان يخرج منها إلى الأندلس، ومن هؤلاء عباس بن عمرو الكناني الذي مكث في القيروان خلال الفترة ٣١٥-٣٣٦هـ/٩٢٧-٩٤٧م حيث خرج إلى الأندلس، وكان بصيراً بالرد على أصحاب المذاهب عالماً بالكلام، وقد توفي بقرطبة سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م[١٤٠].

ورحل إلى صقلية من أهل القيروان أيضاً سعيد بن يحيى المعروف بإبن الفرات، وكان قد سمع من إبن سحنون وغيره، وتوفي في صقلية. ولقمان بن يوسف الغساني الذي كان عالماً باللغة والحديث والرجال والقرآن، وقد أقام في صقلية نحو أربعة عشر عاماً، ثم توفي بتونس سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م.[١٤١]

وكانت صقلية أيضاً مأوىً أمينا يلجأ اليه العلماء المضطهدون في إفريقية في أيام إختلاف المذاهب والآراء، كما كان علماء صقلية يرحلون منها أثناء الاضطرابات إلى إفريقية ومصر، وكان بعضهم يتوجه شرقاً للحج وطلب العلم. وقد أبقت حركة العلم من صقلية وإليها على هذه الجزيرة ضمن المجرى الرئيسي لحركة العلوم الإسلامية، وقد أفادت كثيراً، وخاصة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين من التيارات الفكرية التي نمت ونشطت في القيروان.[١٤٢]

الخاتمة

ويمكن القول – بإستحضار العرض المختصر السابق لدور القيروان العسكري والعلمي – إن هذه المدينة الإسلامية قامت بالدورين معاً، وحققت ما أنشئت من أجله على يد القائد عقبة بن نافع الفهري. فقد لعبت القيروان دوراً أساسياً في تغيير مجرى تاريخ المغرب العربي، وفي تحويله من أرض مسيحية لغتها اللاتينية إلى أرض لغتها العربية ودينها الإسلام.

فكلمة القيروان تعني مكان السلاح ومحط الجيش أو إستراحة القافلة وموضع إجتماع الناس في الحرب، ومنها إنطلقت الفتوحات إلى الغرب ومن ثم إلى الأندلس، وإستطاعت القيروان أن تفرز طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعددة

الخصائص، حيث كانت سوقاً للمعرفة ينهل من مظانها العديد من طلاب العلم والمعرفة، وأصبحت، ومنذ أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بيتاً للحكمة تحاكي مثيلتها مدينة بغداد في المشرق العربي، خاصة في مجالات العلوم الطبية والفلكية والهندسة والترجمة، ومثلت مركزاً للنهضة الفكرية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي، ومنطلقاً للثقافة العربية الإسلامية طيلة خمسة قرون، من القرن السابع إلى الثاني عشر الميلادي.

وبالإضافة إلى أهمية مدينة القيروان العسكرية والعلمية، هنالك القيمة العمرانية التي تتميز بها القيروان من خلال أصالتها وثراء كنوزها الأثرية وتنوعها الذي جعلها متحفاً للفنون والحضارة العربية الإسلامية. لذلك أرى وجوب الإهتمام بهذه المدينة من خلال الدراسات المتخصصة التي تتناول كل جانب من جوانبها المهمة بالدراسة والتمحيص.

الهوامش

(١) سورة سبأ: آية ٢٨.

(٢) ابن عبد الله بن عبد الحكم القرشي، فتوح إفريقية والأندلس، ص٤٥.

(٣) النويري، ٣٣ج، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، ص٣٥-٣٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٢.

(٥) المرجع نفسه، ج٢٤، ص٢٨.

(٦) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص٢٣-٢٤؛ طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص٦٥-٦٦.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٢، ج١، ص٨-٩.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧-١٠.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩-١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٠-١٦؛ حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، ص٣٣-٣٦.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٤.

(١١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٦.

(١٢) بن حبيب، كتاب التأريخ، ص١١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ١٥.

(١٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٧.

(١٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٩.
- القيروان: مدينة أو معسكر أو مسلحة، وهي موضع اجتماع الناس والجيش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٠-٤٢١؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ط٢، ص١٥١- ١٥٢.

(١٥) زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص٧١.

(١٦) بن عبد الحكم القرشي المصري، فتوح مصر وأخبارها، ص١٩٢.

(١٧) المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ط٢، ج١، ص٩.

(١٨) المالكي، رياض النفوس، ص٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٩؛ الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج١، ص٨.

(١٩) المالكي، رياض النفوس، ص١١؛ زيتون، القيروان، ص٧٥.

(٢٠) الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٧-٣٨.

(٢١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣٤. عبد الحكم القرشي المصري، فتوح إفريقية والأندلس، ص٥٠؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١١-١٢.

(٢٢) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ق١، ص٤٤.

(٢٣) عبد الوهاب، ورقات، ق١، ص٥٩؛ المالكي، رياض النفوس، ص١٣؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص١٠، ١١.

(٢٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣٤.

(٢٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢١.

(٢٦) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٣؛ سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص٢٠٧.

(٢٧) حتاملة، الأندلس، ص٣٨.

(٢٨) الشريف الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١١٠.

(٢٩) بن أحمد التميمي القيرواني، طبقات علماء إفريقية والأندلس، ص٥٦؛ طه الولي، المساجد في الإسلام، ص٥٨١.

(٣٠) زيتون، القيروان، ٧٢- ٧٣.

(٣١) الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٠.

(٣٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص١٩٣.

(٣٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٤.

(٣٤) ابن الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٥٥-٥٧؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٢؛ سالم، المغرب الكبير، ص، ج٢، ص٢١٤.

(٣٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٥٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥.
(٣٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٢؛ حتاملة، الأندلس، ص ٣٩.
(٣٧) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٣؛ ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٥٨.
(٣٨) المالكي، رياض النفوس، ص٢٢.
(٣٩) الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص٦٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٦٤.
(٤٠) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٢٤-٢٥.
(٤١) عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص٣.
(٤٢) عبد الوهاب، ورقات، ص٥٢.
(٤٣) عبد الوهاب، بساط العقيق، ص٦؛ فكري، المسجد الجامع بالقيروان، ص١٢.
(٤٤) البكري، المغرب، ص٢٤.
(٤٥) عبد الوهاب، بساط العقيق، ص١٠، ١١.
(٤٦) الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص١٤١، ١٤٢.
(٤٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٧٨؛ عبد الوهاب، بساط العقيق، ص٦.
(٤٨) الحبيب الجنحاني، القيروان عبر عصور الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، ص١٣٨.
(٤٩) عبد الوهاب، بساط العقيق، ص١٣.
(٥٠) حتاملة، الأندلس، ص٣٨.
(٥١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٤-٢٥؛ ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٦-٢٧.
(٥٢) حتاملة، الأندلس، ص٣٨.
(٥٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣١.
(٥٤) طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقية والأندلس، ص٤٩-٥٠.
(٥٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٢-٤٦.
(٥٦) بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ط٣ج٢، ص٦٣.
(٥٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٠؛ زيتون، القيروان، ص١٠٣-١٠٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦-٤٧.
(٥٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٩.
(٥٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص، ٤٠، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص١٥٩-١٦١.
(٦٠) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٧٦.
(٦١) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٢٢٢، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩٢ -٩٣، ٩٦ - ١٠٧ ، ١١٢-١١٦، كرو، عصر القيروان، ص١٨ .
(٦٢) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧.
(٦٣) المرجع نفسه، ص٢٨.
(٦٤) المرجع نفسه، ص٢٨.
(٦٥) الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٨-٢
(٦٦) كرو، عصر القيروان، ط٢، ص١٦-١٧.
(٦٧) كرو، عصر القيروان، ص١٨.
(٦٨) الرقيق القيرواني تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٨٢-٢٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٤-٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨٥-٩١.
(٦٩) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٢٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩٢-٩٣، ٩٦-١٠٧، ١١٢-١١٦؛ كرو، عصر القيروان، ص١٨.
(٧٠) الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٢٧٤؛ ابن أبي دينار، المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس، ص٦٤؛ زيتون، القيروان، ص١٤٧-١٤٩؛ كرو، عصر القيروان، ص١٨-١٩.
(٧١) كرو، عصر القيروان، ص١٩-٢٠.
(٧٢) زيتون، القيروان، ص١٨٥.
(٧٣) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٢١-٢٢؛ المالكي، رياض النفوس، ص٤٦، ٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٠؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٩٨، ١٥١، ١٥٦، ١٦١؛ ابو العرب تميم، طبقات علماء إفريقية، ص٧٣-٧٨.
(٧٤) المالكي، رياض النفوس، ص٦٥: ابو العرب تميم، طبقات علماء إفريقية، ص٨٤.
(٧٥) عبد الوهاب، ورقات، ص١٣٥.
(٧٦) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٣٥؛ عبد الوهاب، ورقات، ص١٤١، ١٤٤.
(٧٧) عبد الوهاب، ورقات، ص١٦٠.
(٧٨) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج٢، ص٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٩؛ المالكي، رياض النفوس، ص١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣-١٨٦.
(٧٩) المالكي، رياض النفوس، ص٢٥٠ ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص٥٨٧.
(٨٠) زيتون، القيروان، ص٢٥٧-٢٦٠
(٨١) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج١، ج٢، ٣، ٤، ج٢، ص٢٠٢، ٢٠٧'٢١١-٢١٢.
(٨٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٩٣-٩٤.
(٨٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٩-١٨٠.
(٨٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٥-١٨٦.

(٨٥) الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص ١٣٧، ١٣٨؛ المالكي، رياض النفوس، ص٤٠٧-٤٠٩

(٨٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٢٢؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص ٢٢، ٢٣.

(٨٧) المدني، كتاب الجزائر، ط٢، ص٧٧، ٧٨؛ الكعاك، البربر (كتاب البعث)، ص١٠٥.

(٨٨) المالكي، رياض النفوس، ص٣١١؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص١١٤.

(٨٩) السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٥٦؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص٢٥٦.

(٩٠) المنجي الكعبي، القزاز القيرواني، ص٦٤.

(٩١) زيتون، القيروان، ص٣٣٤-٣٤١.

(٩٢) بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص٣٥١.

(٩٣) المصدر نفسه، ص٢٣٤؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص١٠٦.

(٩٤) المالكي، رياض النفوس، ص٢٢٨؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج١، ص٢١٣.

(٩٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٩٥؛ المالكي، رياض النفوس، ص٣٢٧.

(٩٦) ٩٦- حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة ص٥.

(٩٧) ٩٧- تميم، طبقات علماء إفريقية وتونس، ص٢٠٦.

(٩٨) ٩٨- القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٣٥.

(٩٩) ٩٩- الكعاك، البربر، ص٥٧-٥٩.

(١٠٠) ١٠٠- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٣٦، ٥٣.

(١٠١) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٨٤.

(١٠٢) ١٠٢- الكعاك، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص١١٦، ١١٧؛ عبد الوهاب، ورقات، ص٢١١، ٣٠٧.

(١٠٣) حسن، المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، ط٣، ١٩٦٤م، ص٢٢٣؛ عبد الوهاب، ورقات، ص٨٨.

(١٠٤) زيتون، القيروان، ص٣٩٢.

(١٠٥) عبد الوهاب، ورقات، ص٢٦، ٩٧.

(١٠٦) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص٨٤، ٨٥؛ ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٢، ص٣٥.

(١٠٧) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٨٥، ٨٦.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص٨٧؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٣٦، ٣٧.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص٨٨- ٩٠؛ المصدر نفسة، ج٢، ص٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٧.

(١١٠) المصدر نفسة، ص٨٨-٩٠؛ المصدر نفسة، ج٢، ص٣٨؛ زيتون، القيروان، ص٣٩٩.

(١١١) ١١١- زيتون، القيروان، ص٤٠١ - ٤٠٢.

(١١٢) عبد الوهاب، ورقات، ص٢٩٧.

(١١٣) المرجع نفسه، ص٢٦؛ زيتون، القيروان، ص٤٠٢، ٤٠٣ .

(١١٤) عبد الوهاب، ورقات، ص١٩٦، ١٩٧.

(١١٥) المرجع نفسه، ص١٩٦، ٣٢٥.

(١١٦) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص٣٦٩.

(١١٧) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٤١ ؛ عبد الوهاب، ورقات، ص ٣٤٠.

(١١٨) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٩٠؛ المالكي، رياض النفوس، ص٣٨٨

(١١٩) المالكي، رياض النفوس، ص٩٢، ٩٥، ٩٦.

(١٢٠) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص١٧٨.

(١٢١) الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص١٤٢.

(١٢٢) المالكي، رياض النفوس، ص١٤٣؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣١٦؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص٤٩.

(١٢٣) أبو العرب تميم، طبقات، ص١٥٤.

(١٢٤) المالكي، رياض النفوس، ص٦٢.

(١٢٥) القيرواني، تاريخ إفريقية، ص١٨٢.

(١٢٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٤٨٦.

(١٢٧) زيتون، القيروان، ص٣٠٧.٣٠٩، ٤٣٢.

(١٢٨) المالكي، رياض النفوس، ص٣٤٥وما بعدها.

(١٢٩) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٣٦، ١٣٧

(١٣٠) الدباغ، معالم الإيمان، ج٣، ص١٠٠؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٥٩.

(١٣١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٩-١١، ١١٧، ١٥٠، ٢٩٧، ق٢، ص٣٠؛ القيرواني الخشني، قضاة قرطبة، ص٩، ١٠٦، ١١٩.

(١٣٢) المالكي، رياض النفوس، ص٢٦٧؛ زيتون، القيروان، ص ٤٣٧.

(١٣٣) المالكي، رياض النفوس، ٤٠٧.

(١٣٤) المالكي، رياض النفوس، ق٢، ص ٩٩.

(١٣٥) المصدر نفسه، ق٢، ص١١١.

(١٣٦) سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص٦١٥.

(١٣٧) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص١٣- ٢٤.

(١٣٨) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٢٣٤؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج٢، ص١٣٦.

(١٣٩) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٩٩.

(١٤٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص١٣٠.

(١٤١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٣١١.٣١٣.

(١٤٢) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص٤٩.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي المكرم، الكامل في التاريخ، ١٣٠١هـ، المكتبة الأزهرية، القاهرة.

الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، ١٩٦١، مصر.

الدباغ، عبدالرحمن بن محمد، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ط١، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨، مصر.

زيتون، محمد محمد، ١٩٨٨، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة.

ابن عذاري، أبوعبدالله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، ١٩٨٢، ط٢، دار الثقافة، بيروت.

ابن عبدالحكم القرشي، أبو القاسم عبدالرحمن، فتوح افريقية والأندلس، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤، بيروت.

عبدالوهاب، حسن، ١٩٦٥، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ق١، مكتبة المنار، تونس.

القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٢، تحقيق أحمد بكير، مكتبة الحياة، بيروت.

المالكي، ابو بكر عبدالله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تحقيق بشير البكوش، ١٩٩٤، دار الغرب الاسلامي، ط٢، بيروت.

مؤنس، حسين، ١٩٩٥، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة.

النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي ومحمد زيادة، ١٩٨٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ياقوت الحموري، شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

الولي، طه، ١٩٨٨، المساجد في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت.

©٢٠١٣ عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

KAIROUAN
Its Military and Scientific Role

*Sahar A.M. Al-Majali**

ABSTRACT

The research deals with the city of Kairouan: the objective of its establishment, its origin, development, prosperity, and its historic role as the first base of Islamic ascendance in the Al- Maghreb, which formed the political as well as cultural capital since the beginning of the Arab-Islamic influence in Al-Maghreb.

The research focuses on the role of Kairouan, after its prosperity, to spread the Arab-Islamic culture in Africa, and the dissemination of Islamic tenets in the Orient as well as in the West. It also deals with a multitude of eminent scientists and scholars who belonged to Kairouan, and were outstanding intellectuals in Islamic science, the Arab social and astronomical sciences, medicine and other fields, who strove hard to acquire knowledge in the Libraries of Kairouan, especially Bayt Al-Hekmah- the House of Wisdom. Kairouan attracted hundreds of Muslim students from the East as well the West Islamic world.

The research also highlights Kairouan relations and its links with the centers of other Islamic countries. These links support the view and the underlying idea of this research that Kairouan played a vital and broad role in spreading the Arab-Islamic culture and science in the Al- Maghreb, and in other Muslim countries such as Al-Hijaz, Iraq, Belad Ash-Sham-the Levant- and Andalusia.

Keywords: Kairouan, The Maghreb, Proliferation of Arab-Islamic influence.

* Department of Sociological and Applied Sciences, Princess Alia College, Al-Balqa Applied University, Jordan. Received on 1/7/2011 and Accepted for Publication on 25/6/2012.